سلسلة فتيان لكن أبطال

عبد الله بن الزبير

الغلام الشجاع

خليل الصمادي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل محمود

عبدالله بن الزبير بن العوام الغلام الشجاع. – الرياض.

١٦ ص، ١٧X ٢٢ سم – (سلسلة فتيان لكن أبطال؛ ٧)

ردمك: ٨ – ٧٨٣ – ٢٠ – ٩٩٦٠

١– عبدالله بن الزبير بن العوام، ت ٧٣هـ ٢– الصحابة والتابعون

أ– العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/٣٢٣٤

ردمك: ٨ – ٧٨٣ – ٢٠ – ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢١/٣٢٣٤

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

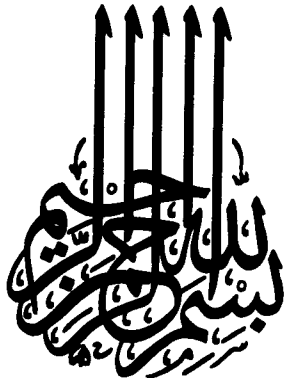
بسم الله الرحمن الرحيم

امتلأت قلوب اليهود غيظاً من هجرة المسلمين إلى يثرب، وازداد حقدهم لما رأوا اليثربيين يدخلون في الإسلام، فقرروا أن يحاربوهم بالكيد والإشاعات والأراجيف(١). فاجتمع كهنتهم وسحرتهم على ترويج إشاعة خبيثة كعادتهم، وهي أن المسلمين قد سحروا، فقد تسلط عليهم العقم، فلن تشهد يثرب منهم وليداً جديداً بعد اليوم..

وشاء الله أن يخرس ألسنتهم، ويدحض(٢) كذبهم. فها هو أول مولود للمسلمين في المدنية المنورة يرى النور. فيتسارع المسلمون لحمله والطواف به بين أحياء اليهود مهللين مكبرين .. فمن هو هذا المولود الصغير؟

إنه عبدالله بن الزبير، أبوه الزبير بن العوام حواري(٣) رسول الله ﷺ أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، حمله أبوه الزبير إلى رسول الله ﷺ ليسميه ويحنكه(٤). فسماه رسول الله ﷺ عبدالله وبارك فيه.

نشأ المولود الصغير وترعرع بين أحضان بنت الصديق وابن عمة الرسول الزبير بن العوام أحد المبشرين بالجنة .. نشأ نشأة الصدق والشجاعة .. إنه مِنْ بيتٍ شهدَ له الرسول بالتقوى.

---

(١) الأراجيف: الأكاذيب.

(٢) يُدْحِض: يُبْطِلُ.

(٣) الحواري: هو الناصر والمخلص في الصحبة.

(٤) حنكه: وضع تمرة في فيه ولاكها ثم دلَّكَ لِثته برفق قليلاً.

تعلم الشجاعة منذ صغره، وشهد له عمر بن الخطاب بها وعمره سبع سنين، يوم كان عمر يمشي في طرقات المدينة وعبدالله يلعب مع أصحابه ففروا جميعاً إلا هو بقي واقفا مكانه، فلاحظ عمر ذلك واقترب منه يسأله: لِمَ لمْ تفرَّ كما فرَّ أصحابك؟ فقال له: لم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك، ولم أفعل ذنبًا فأخافك!!

سُرَّ عمر من إجابته وعرف من يومها أنَّ لهذا الغلام شأنا عظيماً.

هل يخاف من عمر من دون ذنب، وكان قد بايع الرسول مع أصحابه قبل أيام، فكيف حدث ذلك؟

كان عبد الله الصغير يرى كل يوم عشرات المسلمين يدخلون المسجد ويمدون أيديهم مبايعين[1] الرسول الكريم ﷺ، ففكر لم لا يفعل مثلهم؟! فذهب إلى أصدقائه ليعرض عليهم الفكرة .. وبعد مناقشات وافقوا وقرروا أن يذهبوا إلى المسجد للمبايعة..

تقدم الصبية الصغار من الرسول ﷺ فنظر إليهم فأرادوا أن يتكلموا معه، لكنهم تلعثموا ولم يعرف الرسول ماذا يريدون .. عندها تقدم عبدالله أمام أصحابه وقال: جئنا نبايعك يا رسول الله على أن ندافع عن الإسلام والمسلمين وعنك!!

---

(١) مبايعين: معاهدين على الدفاع والحماية.

سُرَّ الرسول ﷺ من فعلهم، فمدَّ يده إليهم مصافحاً ومعجباً برجولتهم.

وكان عبدالله يفاخر زملاءه قائلاً: هاجرت وأنا في بطن أمي، وبايعت رسول الله وأنا ابن سبع سنين..

ومن يومها لازم عبدالله بيت النبوة ومسجد رسول الله، وصار يعي ما يسمع، فحفظ الكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، فأحبه رسول الله ﷺ، كما أحبه الصحابة، وكان يقوى كل يوم، وتقوى معه صفات الرجولة، حتى أصبح رجلاً ولم يبلغ الحُلُم بعد، وكان يعلّم أصحابه الصغار الصفات العظيمة التي أخذها من رسول الله ومن أمه أسماء ومن جده أبي بكر الصديق، ومن أبيه الزبير بن العوام.

فأكْبَر الصحابة هذا الغلام الصغير، وتوقعوا له مستقبلاً عظيماً.

وفي أحد الأيام احتجم[1] النبي ﷺ، فلما فرغ قال: «**يا عبدالله، اذهب بهذا الدم فأهرقه[2] حيث لا يراك أحد**» فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع قال عليه الصلاة والسلام: «**يا عبدالله، ما صنعت بالدم؟**» قال: جعلته في أخفى مكان علمته أنه يخفى على الناس. قال: «**لعلك شربته**» قال: نعم. قال: «**ولِمَ شربت الدم، ويل للناس منك وويل لك من الناس**»

---

(١) احتجم: أخرج دمه من جسده.

(٢) أَهْرِقْهُ: صبّه على الأرض.

وكان الصحابة يرون أن القوة والشجاعة التي به من ذلك الدم.

انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، وحزن المسلمون عليه حزنًا شديداً وكان بيت عبدالله أكثر البيوت حزناً، ولم يتجاوز عبدالله في تلك الأيام العاشرة من عمره، ولكنه كان يعي هذه الأحزان، فقد عرف مكانة رسول الله ﷺ بين المسلمين، وعرف حب الرسول للمسلمين وخاصة لأهل بيته، عرف عبدالله أنه أول مولود للمسلمين في الهجرة، وعرف أن أمه أسماء بنت أبي بكر ، هي التي ساعدت رسول الله في هجرته يوم عرضت نفسها للخطر، عندما كانت تخرج كل يوم من مكة إلى غار ثور لتزويد رسول الله ﷺ وأبيها بالأخبار والطعام، يومَ سماها رسول الله ﷺ «**ذات النطاقين**[1]» لأنها هيأت له لما أراد الهجرة طعاماً فاحتاجت إلى ما تشده به فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه سفرة الطعام واتخذت النصف الآخر نطاقاً لها.

وعرف أنَّ أباه الزبير بن العوام كان من أوائل المسلمين، فهو رابعهم أو خامسهم أسلم وعمره خمسة عشر عاماً، وهاجر إلى الحبشة مرتين فراراً بدينه من المشركين.

ففي ثنايا هذا البيت العريق شبّ عبدالله، وتعلم آداب الإسلام وقيمه، تعلم الشجاعة وقول الحق، ولازم جده أبابكر الصديق وأباه وأمه، وكان كل

(١) النطاق: حزام يشدُّ به الوسط.

يوم يزداد إيماناً وشجاعة، وكان يعدُّ نفسه لنشر دين الله في الأصقاع، حاول أن يخرج مع خالد بن الوليد لمحاربة المرتدين لكنه لم يحظَ بهذه المشاركة؛ لأنه لم يتجاوز العاشرة من عمره، وظلت نفسه تحدثه بالجهاد إلى أن كان له ما أراد.

ففي يوم اليرموك جهز أبوبكر الصديق الجيوش لملاقاة الروم، وتسارع المجاهدون من كل مكان هاتفين الله أكبر، وكان في مقدمة الملبين الزبير بن العوام، ولحق عبدالله بأبيه فحاول رده فلم يستجب، ولما أعيته الحيلة أتى بفرس وأركب عبدالله عليها وسمح له بمرافقة الجيش وكم كان عمره آنذاك. كان عمره اثني عشر عاماً!!

لله درك يا ابن الزبير تخرج مع جموع المسلمين وعمرك اثنتا عشرة سنة، وأين تخرج هل للفسحة والراحة؟ لا ولكن لمنازلة الروم.

وقد كان الزبير شجاعًا مؤمنًا بقضاء الله، فقد كان يركب جواده ويضع ابنه عبدالله في حضنه ويدخل في صفوف الروم يعمل سيفه في رقابهم ويعلِّم ولده القتال والمبارزة. وقد ورث عبدالله شجاعة أبيه حواري رسول الله. وسرت في دمائه شجاعة جدته صفية أول امرأة تقتل كافراً في سبيل الله.

ويلمع سيف عبد الله وينهزم الروم بعد أن قتل منهم من قتل وهم يتحدثون عن بطولة هذا الغلام الصغير.

كان عثمان بن عفا ن – رضي الله عنه – قد أرسل جيشًا لفتح إفريقيا بلغ عشرين ألفًا بقيادة عبدالله بن أبي السرح وسمع عثمان أن جرجير والي إفريقيا من قبل الروم قد أعد جيشًا قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل، وقد انقطعت أخبار المسلمين عن عثمان، فخشي عليهم، فسيَّر عبدالله بن الزبير مع جماعة لتأتيهم بأخبارهم ولمساعدتهم فسار حتى وصل إليهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين.

عندها سأل جُرجير عن الخبر فقيل قد أتاه عسكر، فخاف كثيراً، وقف عبدالله من أول يوم وصل فيه على الخطط التي يقوم بها الطرفان، فرأى أن قتال المسلمين يبدأ من الصباح إلى الظهر فإذا أذن الظهر عاد كل فريق إلى خيامه، وشهد القتال في اليوم التالي فلم ير ابن أبي السرح مع المسلمين، فسأل عنه، فقيل: إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل ابن أبي السرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي، فصار ابن أبي السرح يحتاط من ذلك ولا يخرج للقتال كثيراً.

ذهب ابن زبير مسرعاً إلى القائد ابن أبي السرح وقال له: تأمر منادياً ينادي. من أتاني برأس جُرجير نعطه مائة ألف ونزوجه ابنته، ونجعله والياً على بلاده، ففعل ذلك فصار جرجير يخاف خوفاً شديداً، ثم وضع عبدالله ابن الزبير خطة محكمة للقضاء على الروم، فأحبَّ أن يباغت العدو، فما هي هذه الخطة؟

قسم ابن الزبير جيش المسلمين إلى قسمين، أخذ القسم الأول وقاتل الروم قتالاً شديداً فلما أذن الظهر همَّ الروم بالانصراف كالعادة، فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم رجع إلى معسكره، وذهب الروم إلى خيامهم وهم متعبون.

عند ذلك أخذ عبدالله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وأغار على خيام الروم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى صارت سيوف المسلمين تعمل في رقابهم.

ولكن كيف السبيل للوصول إلى قائدهم جرجير؟ فلن تحسم المعركة إلا بقتله.

فكر عبدالله وفكر ماذا يفعل؟

نظر ابن الزبير إلى جرجير فوجده محاطاً بعشرات المقاتلين الأشداء، وهم يدافعون عنه دفاع المستميت.

لكن شجاعة ابن الزبير أقوى منهم جميعاً، لقد نادى بأعلى صوته مخاطباً المسلمين «احموا ظهري، واهجموا معي».

كبرَّ عبدالله وكبرَّ المسلمون خلفه، وانطلق كالإعصار يزلزل صفوف الأعداء، والمسلمون خلفه يفتكون بهم وما هي إلا لحظات حتى بلغ مقصده صار وجهه إلى وجه القائد المتغطرس نزل عبدالله عن جواده ممتشقاً سيفه،

وهوى به على جرجير في ضربة واحدة، فخر صريعاً ثم استدار إلى حرَّاسه فقتل منهم عدداً كبيراً عندها تعالت صيحات المسلمين الله أكبر، الحمد لله، العزة لله ولرسوله .. وأقدم أحد المسلمين ورفع راية التوحيد في مقر قيادة الأعداء، ولم يمض وقت قصير إلا وقد كتب الله النصر للمسلمين بعد أن فرَّ الأعداء في كل صوب...

أحب قائد جيش المسلمين عبدالله بن أبي السرح أن يكافئ عبدالله بن الزبير على دوره العظيم، فطلب منه أن يحمل البشرى إلى المدينة المنورة ليخبر بها عثمان بن عفان خليفة المسلمين.

ويحمل عبدالله البشرى، بشرى النصر والثبات إلى خليفة المسلمين، ويتحدث المسلمون عن بطولة ابن الزبير وهو لا يحدث أحداً بها، ولكن المجاهدين الذي خاضوا معه المهمة الصعبة هم الذين نشروا الخبر.

ولم يكن عبدالله بطلاً في المعارك فحسب بل كان بطلاً في عبادته.

قال عثمان بن طلحة: كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة: لا في شجاعة، ولا عبادة، ولا بلاغة.

الشجاعة عرفناها فهو شجاع منذ نشأته الأولى، أما عبادته فكانت مثالاً يحتذى بها، لقد كان يصوم النهار، ويقوم الليل ويخشع لله خشوع الأوابين.

كان يركع ويسجد فتقف العصافير فوق ظهره وتحسبه من طول ركوعه وسجوده جداراً صلبًا، أو شجرة باسقة.

كان يواصل الصيام من الجمعة إلى الجمعة، فإذا أفطر استعان بالسمن حتى يلين.

كان يحب الطواف حول البيت العتيق، ملبياً نداء ربه، وذات يوم جاء سيلٌ وغمر بيت الله الحرام فأحب أن يطوف، فكر ماذا يفعل؟ لم ينتظر كثيراً، قفز إلى الماء وأدى الطواف سباحة!! قائلاً:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة، لك والملك لا شريك لك

فأحب أن لا يفوته الطواف في هذا اليوم.

وذات يوم دخلت أمه أسماء بنت أبي بكر بيته فإذا هو يصلي فسقطت حية من سقف البيت فصاح من بالبيت: الحية الحية، وخافوا وجزعوا ثم رموها وابن الزبير يصلي ولا يدري ما الأمر!؟

طلب عمر بن عبدالعزيز من أحد جلسائه يومًا أن يصف له عبدالله بن الزبير فقال: والله ما رأيت جِلْدًا قطُّ رُكِّب على لحمٍ، ولا لحمًا على عصب، ولا عَصبًا على عظم، مثل جِلده ولحمه وعصبه، ولا رأيت نفسًا بين جَنبين مثل نفسٍ رُكِّبَتْ بين جنبه، ولقد قام يومًا إلى الصلاة، فَمرَّ حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصرُه وقطع له قراءته، ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع.

ولما أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف اختار لهذه المهمة العظيمة عبدالله بن الزبير وزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وغيرهم من كبار الصحابة فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء.

ذُكر ابن الزبير عند ابن عباس فقال عنه: قارئ لكتاب الله، متَّبعٌ سنَّة رسوله عفيف في الإسلام، وأبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبوبكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة، وجدته صفية. فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله»

من مثلك يا ابن الزبير يفاخر بهذا النسب العطر، إنه نسب الأطهار والأخيار، ورحمك الله وأعلى منزلتك في الجنة.

للاستزادة من أخبار عبد الله بن الزبير انظر:

الإصابة: ت ٤٨٣٤
تهذيب الأسماء: ١/ ٢٧٨
طبقات ابن سعد: ٤/ ١٠٥ – ١٣٨
سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠٣
الأعلام للزركلي: ٤: ١٠٨
رجال حول الرسول: ٥٨٥

(١) أجب عن الأسئلة التالية:

١- لمَ امتلأت قلوب اليهود غيظاً من المسلمين؟

.....

٢- كيف حارب اليهودُ المهاجرين في بادئ الأمر؟

.....

٣- من هو أول مولود للمسلمين بعد الهجرة؟

.....

٤- لماذا لم يهرب عبدالله بن الزبير من طريق عمر بن الخطاب؟

.....

(٢) ضع سؤالاً لكل إجابة مما يلي:

س .....؟

ج: أول معركة اشترك فيها عبدالله بن الزبير هي معركة اليرموك.

س .....؟

ج: الفكرة التي عرضها عبدالله على أصدقائه مبايعة الرسول الكريم.

س .....؟

ج: كان عدد جيش المسلمين في فتح إفريقيا عشرين ألفًا.

(٣) ضع الكلمات التالية في جمل مفيدة:

احتجم ..... سرَّ .....

ويلٌ ..... هاجم .....

(٤) هات الضّدَّ لكل كلمة مما يلي:

المسلمون ..... يدخلون .....

الجـــنة ..... ضيـــقة .....

(٥) عاصر ابن الزبير الخلفاء الراشدين الأربعة اذكرهم

١- ..... ٢- .....

٣- ..... ٤- .....

(٦) اسمها من ثلاثة عشر حرفاً كان لها دور كبير في الدعوة الإسلامية

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣

٣ + ٢ = من أعضاء الجسم

٤ + ٣ + ٢ = عنق

٤ + ٦ = بئر

٧ + ٦ + ١١ = رسول

١٢ + ١١ + ١٢ = ضد نهار

١ + ١٠ + ٩ = فاكهة صيفية.